النفحات الإيمانية

من العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام

تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَلِيمِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ ابن تيميّة رحمه الله تعالى

(٦٦١ هـ – ٧٢٨ هـ)

تأليف

أ.د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم (سابقًا)

مقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد:

فإن الله تعالى نزّل الذكر وتكفّل بحفظه، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]، وحفظه يشمل حفظ لفظه، ومعناه؛ فأما لفظه فقد صانه الله من التحريف والزيادة والنقصان، وحال بينه وبين الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويكتبون الكتاب بأيديهم، كما قال: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} [فصلت: ٤١، ٤٢]؛ فانقطعت أطماعهم، وغُلّت أيديهم أن ينالوه بسوء، غير أن أهل الأهواء والبدع عمدوا إلى محاولة تحريف معناه، بالعدول عن مراده: {ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ} [آل عمران: ٧]، فرغبوا عن طريقة السلف الصالح؛ من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وتبعوا المناهج الدخيلة، وعكّروا صفو السنة المحضة، فقيض الله من الراسخين في العلم، على مرّ القرون، من ينتدب لكشف شبهاتهم، وتزييف باطلهم، وإعادة الحق إلى نصابه.

وكان من أولئك الأئمة المجددين، على رأس القرن الثامن الهجري، شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، ابن تيمية الحراني (٦٦١-٧٢٨ هـ) -رحمه الله رحمةً واسعة-الذي ظهر في زمن غربةٍ من الدين الصحيح، وظهورٍ لمقالات المتكلمين، وطرق الصوفية والمبتدعين، فأحيا الله به ما اندرس من مذهب السلف، ودرّس، وألّف، وناظر، وجاهد جهادًا كبيرًا.

ومن جملة ما خط بنانه، وأبدع بيانه، عقيدة متينة مختصرة، في مجمل اعتقاد السلف، كتبها إجابةً لسؤال ورده من أحد قضاة "واسط"، فنسبت إليه، وذاع صيتها

في الآفاق، وعرفت باسم: "العقيدة الواسطية"، وكان شيخ الإسلام يُحيل إليها في المناظرات، التي عقدت له بتدبير من خصومه، ويستشهد بها على موافقته لعقيدة السلف، وقد اعتنى بها العلماء قديمًا وحديثًا، حفظًا، ودرسًا، وشرحًا، وتعليقًا.

وقد أتاح الله لي شرح هذه العقيدة المباركة مرّات وكرّات، في مناسبات عديدة، ودروس متتابعة، في مواطن كثيرة، ولله الحمد أولًا وآخرًا، وجرى تفريغ بعض تلك الدروس المسجلة صوتيًا، وتحريرها كتابيًا، فراجعتها، ورتبتها، ووثّقت نقولها، وخرّجت أحاديثها وآثارها، وأصلحت عباراتها بما يتناسب مع النشر العام، وسميتها:

(النفحات الإيمانية من العقيدة الواسطية)

وأسأل الله أن يجعل عملي خالصًا لوجهه، نافعًا لعباده، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه: أ.د. أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان القاضي

عنيزة: ١/٦/ ١٤٤٤هـ

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية [1]

اسمه، ومولده، وأسرته:

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم الخضر بن محمد ابن تيمية الحراني، ثم الدمشقي، الحنبلي، تقي الدين، أبو العباس، شيخ الإسلام. ولد سنة٦٦١هـ في بيت علم ودين؛ فأبوه عبد الحليم: شهاب الدين، أبو المحاسن، أبو أحمد، فقيه حنبلي، ولد سنة ٦٢٧ه، بحران، وهاجر إلى دمشق سنة ٦٦٧هـ، وتولى مشيخة دار الحديث السكرية. كان صاحب دين وخلق وكرم. توفي سنة ٦٨٢هـ، في دمشق. وجده عبد السلام: مجد الدين، أبو البركات، فقيه حنبلي، من أئمة المذهب، وإمام مقرئ ومحدث ومفسر، وأصولي ونحوي. ولد سنة

---

[1] ممن ترجم له قديمًا: ابن كثير في: البداية والنهاية : (١٦٣/١٤)، وابن رجب في: الذيل على طبقات الحنابلة : (٢/ ٣٨٧)، والذهبي في: تذكرة الحفاظ : (١٤٩٦/٤)، وسير أعلام النبلاء: (١/ ٧٦)، وابن حجر في: الدرر الكامنة : (١٥٤/١)، والكتبي في: فوات الوفيات: (٦٢/١)، واليافعي في: مرآة الجنان: (٤/ ٢٧٧)، وابن تغري بردي في: النجوم الزاهرة : (٢٧١/٩) ، والمنهل الصافي:(٣٣٦/١)، والشوكاني في: البدر الطالع: (٦٣/١)، وابن الوردي في: تاريخ ابن الوردي: (٤٠٦/٢-٤١٣)، وغيرها، ومما أفرد في ترجمته من كتب المتقدمين: العقود الدرية في مناقب ابن تيمية، لابن عبد الهادي، الرد الوافر، لابن ناصر الدين الدمشقي، الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، للبزار، الصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبد الهادي، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، غاية الأماني في الرد على النبهاني، للألوسي، القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين، ابن تيمية الحنبلي، لصفي الدين الحنفي البخاري، الكواكب الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، والشهادة الزكية في ثناء العلماء على ابن تيمية، لمرعي بن يوسف الكرمي. وأما ما كتبه المعاصرون من الكتب والمقالات، فيصعب حصره، وقد ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم الشيباني، حفظه الله، في كتابه: (أوراق مجموعة من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: ١٨٨-٢١١) مسردًا بنحو ستين مؤلفًا معاصرًا، فضلًا عن عشرات البحوث، والندوات المعقودة، حول تراثه رحمه الله.

٥٩٠هـ، بحران، وارتحل إلى بغداد سنة ٦٠٣هـ، وأقام بها ست سنين في طلب العلم، وبرع فيه. وتوفي بحران، سنة ٦٥٢هـ. وله تصانيف كثيرة، منها (المنتقى من أحاديث الأحكام)، و (المحرر في الفقه)، وغيرها.

كما كان إخوته وأعمامه وبنو عمه، من أهل الفضل، والعلم، والدين.

نشأته، وطلبه للعلم:

قال ابن عبد الهادي: قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: (نشأ، رحمه الله، في تصون تام، وعفاف، وتأله، وتعبد، واقتصاد في الملبس، والمأكل. وكان يحضر المدارس، والمحافل في صغره، ويناظر، ويفحم الكبار، ويأتي بما يتحير منه أعيان البلد في العلم. فأفتى وله تسع عشرة سنة، بل أقل. وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكب على الاشتغال، ومات والده، وكان من كبار الحنابلة، وأئمتهم، فدرس بعده بوظائفه، وله إحدى وعشرون سنة. واشتهر أمره، وبعد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز، في الجُمَع، على كرسي، من حفظه؛ فكان يورد المجلس، ولا يتلعثم؛ وكذا كان الدرس بتؤدة، وصوت جهوري، فصيح.

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا، وقد ذكر نبذة من سيرته: أما مبدأ أمره، ونشأته، فقد نشأ، من حين نشأ، في حجور العلماء، راشفًا كؤوس الفهم، راتعًا في رياض التفقه، ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوي إلى غير المطالعة، والاشتغال، والأخذ بمعالي الأمور، خصوصا علم الكتاب العزيز، والسنة النبوية، ولوازمها. ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا، سلفيًا، متألهًا عن الدنيا، صيِّنًا، تقيًا، برًا بأمه، ورعًا، عفيفًا، عابدًا، ناسكًا،

صوامًا، قوامًا، ذاكرًا لله تعالى في كل أمر، وعلى كل حال، رجاعًا إلى الله تعالى في سائر الأحوال، والقضايا، وقافًا عند حدود الله تعالى، وأوامره، ونواهيه، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر بالمعروف. لا تكاد نفسه تشبع من العلم؛ فلا تروى من المطالعة، ولا تمل من الاشتغال، ولا تكل من البحث، وقلّ أنْ يدخل في علم من العلوم، من باب من أبوابه، إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله؛ مقصُودُه الكتاب والسنة، ولقد سمعته، في مبادئ أمره، يقول: إنه ليقف خاطري في المسألة، والشيء، والحالة التي تشكل عليّ، فأستغفر الله تعالى ألف مرة، أو أكثر، أو أقل، حتى ينشرح الصدر، وينحل إشكال ما أشكل. قال: وأكون إذ ذاك، في السوق، أو المسجد، أو الدرب، أو المدرسة، لا يمنعني ذلك من الذكر، والاستغفار، إلى أن أنال مطلوبي)[1].

مصنفاته:

كان شيخ الإسلام آية في سعة الاطلاع، وقوة البديهة، واستحضار المعاني، ووفرة الحافظة، مع سيولة القلم، وسرعة الكتابة، فملأ الدنيا تصنيفاً؛ فربما كتب جوابًا لسؤال، المصنفات الطوال، وهذا هو الأكثر، وربما كتب ابتداءً في مسألة رآها؛ قال الذهبي: (يكتب في اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصلين، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل، نحوًا من أربعة كراريس، أو أزيد! وما أُبعِد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ

(١) العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ابن عبد الهادي المقدسي: (ص:٩ -١١).

خمسمائة مجلدة) [١]، وقال ابن رجب: (وأما تصانيفه، رحمه اللّه، فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر. سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار. قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها، ولا ذكرها) [٢]، وقد عدّ ابن عبد الهادي العشرات من مؤلفاته؛ ما بين مصنف كبير، ومتوسط، وصغير، وقاعدة، وإجازة، ووصية، وعرّف بعامتها [٣].

ثناء العلماء عليه:

أطبق الراسخون في العلم والفضل والإنصاف، من معاصريه ولاحقيه، من مختلف المذاهب، على فضله وتقدمه، وتمكنه، ونصحه، وتنسكه؛ قال فيه الذهبي: (وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي! فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت أني ما رأيت بعيني مثله، ولا هو رأى مثل نفسه في العلم). وقال المزي: (ما رأيت مثله، ولا رأى هو مثل نفسه. وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله، وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه). وقال ابن الزِّملِكاني: (كان إذا سئل عن فن من العلم، ظن الرائي، والسامع، أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لا يعرفه مثله. وكان الفقهاء، من سائر الطوائف، إذا جلسوا معه، استفادوا في مذاهبهم منه، ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك. ولا يعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولا تكلم في علم من العلوم، سواء أكان من علوم الشرع، أم غيرها، إلا فاق فيه أهله، والمنسوبين إليه. وكانت له اليد الطُولى

---

(١) نقلاً عن العقود الدرية: (ص: ٣٦).

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة، ابن رجب: (١/ ٣٤٤).

(٣) انظر العقود الدرية: (ص: ٣٨-١١١).

في حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب، والتقسيم، والتبيين) [1].
وأمثال هذا الثناء كثير في كل عصر ومصر.

ابتلاؤه وسجنه:

سار-رحمه الله-على طريق الأنبياء، فناله ما ينال أتباعهم من الابتلاء، واللأواء، حتى آواه طلب ما عند الله إلى سجن القلعة، بدمشق، بسبب كيد الكائدين من المبتدعة، والمخالفين، قال ابن رجب، رحمه الله: (وبقي مدة في القلعة، يكتب العلم ويصنفه، ويرسل إلى أصحابه الرسائل، ويذكر ما فتح الله به عليه في هذه المرة، من العلوم العظيمة، والأحوال الجسيمة. وقال: قد فتح الله علي في هذا الحصن، في هذه المرة، من معاني القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير معاني القرآن. ثم إنه منع من الكتابة، ولم يترك عنده دواة، ولا قلم، ولا ورق، فأقبل على التلاوة، والتهجد، والمناجاة، والذكر.

قال شيخنا أبو عبد اللّه ابن القيم: سمعت شيخنا شيخ الإسلام، ابن تيمية، قدس الله روحه، ونور ضريحه، يقول: إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي، لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة. وكان في حبسه في القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة، ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسبّبوا فيه من الخير -ونحو هذا. وكان يقول في

---

[1] العقود الدرية: (ص:١٢-١٣).

سجوده، وهو محبوس: اللهم أعِنّي على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك، ما شاء الله. وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة، وصار داخل سورها نظر إليه، وقال: {فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ} [الحديد: ١٣].

قال شيخنا: وعلم الله، ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط، مع ما كان فيه من الحبس، والتهديد، والإرجاف، وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلباً، وأسرُّهم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض: أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحاً، وقوة، ويقيناً، وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته، قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من رَوحها ونسيمها وطيبها، ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها)[1].

وفاته:

كانت وفاة شيخ الإسلام، ابن تيمية، حدثًا مجلجلًا، كما كانت حياته بيانًا مدويًا، وظهر فيها من كرامات الصالحين، ما يليق بمجدد من مجددي الدين، وقد وصف ابن رجب تلك الخاتمة السعيدة، والجنازة المهيبة، بقوله: (كانت وفاته في سحر ليلة الاثنين، عشري ذي القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وذكر مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس

---

[1] ذيل طبقات الحنابلة: (١ / ٣٤٤).

على الأبراج، فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أُعلم به في منامه، وأصبح الناس، واجتمعوا حول القلعة، حتى أهل الغوطة، والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة.

وكان نائب السلطنة غائباً عن البلد، فجاء الصاحب إلى نائب القلعة، فعزاه به، وجلس عنده، واجتمع عند الشيخ في القلعة خلق كثير من أصحابه، يبكون ويثنون، وأخبرهم أخوه، زين الدين عبد الرحمن، أنه ختم، هو والشيخ، منذ دخلا القلعة، ثمانين ختمة، وشرعا في الحادية والثمانين، فانتهيا إلى قوله تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} [القمر: ٥٤، ٥٥] [1].

[1] ذيل طبقات الحنابلة: (١/٣٤٣-٣٤٤).

التعريف بـ "العقيدة الواسطية"

الواسطية: رسالة كتبها شيخ الإسلام ابن تيمية، في قعدة بعد العصر، وهي رسالة لطيفة، موضوعها: مجمل اعتقاد السلف، لأن التصنيف في الاعتقاد يقع على أنحاء؛ فمن المصنفين من يصنف في مجمل الاعتقاد، فينتظم أبواب الاعتقاد دون إطناب، ومنهم من يؤلف في باب من أبواب الاعتقاد، كأن يؤلف جزءًا في مسألة القرآن، أو الرؤية، أو الإيمان، أو الصفات، ومنهم من يصنف في الردود، ونقض الشبهات، وهكذا.

ومن الناحية الفنية؛ منهم من يصنف نثرًا، ومنهم من يصنف نظمًا، وكل هذا من تقريب العلم، لا حرج.

وقد تناول الشيخ في الواسطية أبواب الاعتقاد، بشكل عام، فتكلم عن صفات الله تعالى، وما ينبغي له، وثنّى باليوم الآخر، ثم ذكر مسائل الإيمان، والقدر، والصحابة والأولياء. وبيّن وسطية أهل السنة والجماعة، ومنهجهم في الاتّباع والاستدلال، وفي الأخلاق والسلوك، ومكملات الإيمان؛ فكانت بديعة في بابها، جمعت بين العلم والعمل، فحظيت بقبول وانتشار، واعتنى بها العلماء قديمًا، وحديثًا.

سبب تسميتها بالواسطية:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله، في مجلس المناظرة، الذي عقده له نائب السلطنة، بشأن الاعتقاد: (فَأَنَا أُحْضِرُ عَقِيدَةً مَكْتُوبَةً؛ مِنْ نَحْوِ سَبْعِ

سنين قَبْلَ مَجيءِ التتر إلَى الشّامِ ... ثُمّ أَرْسَلْت مَنْ أَحْضَرَهَا وَمَعَهَا كَرَارِيسُ بِخَطّي مِنْ الْمَنْزِلِ فَحَضَرَتْ " الْعَقِيدَةُ الواسطية " وَقُلْت لَهُمْ: هَذه كَانَ سَبَبُ كِتَابَتِهَا أَنّهُ قَدِمَ عَلَيّ مِنْ أَرْضِ وَاسِطٍ بَعْضُ قُضَاةِ نَوَاحِيهَا – شَيْخٌ يُقَالُ لَهُ " رَضِيُّ الدّينِ الواسطي " مِنْ أَصْحَابِ الشّافعِيّ – قَدِمَ عَلَيْنَا حَاجًّا وَكَانَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ وَالدّينِ وَشَكَا مَا النّاسُ فِيهِ بِتِلْكَ الْبِلَادِ وَفِي دَوْلَةِ التتر مِنْ غَلَبَةِ الْجَهْلِ وَالظّلْمِ وَدُرُوسِ الدّينِ وَالْعِلْمِ وَسَأَلَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَهُ عَقِيدَةً تَكُونُ عُمْدَةً لَهُ وَلأَهْلِ بَيْتِهِ فَاسْتَعْفَيْت مِنْ ذَلِكَ وَقُلْت: قَدْ كَتَبَ النّاسُ عَقَائِدَ مُتَعَدّدَةً؛ فَخُذْ بَعْضَ عَقَائِدِ أَئِمّةِ السّنّةِ فَأَلَحّ فِي السّؤَالِ وَقَالَ: مَا أُحِبُّ إلّا عَقِيدَةً تَكْتُبُهَا أَنْتَ فَكَتَبْت لَهُ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ وَأَنَا قَاعِدٌ بَعْدَ الْعَصْرِ وَقَدْ انْتَشَرَتْ بِهَا نُسَخٌ كَثِيرَةٌ؛ فِي مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَغَيْرِهِمَا)[1].

فتبيّن أن سبب تسميتها: النسبة إلى بلدة "واسط" في العراق، التي ينتمي إليها السائل: رضي الدين الواسطي، والنسبة إلى البلدان، في ذلك الزمان، كثيرة؛ كالحموية، والتدمرية، والقبرصية، والمراكشية، لشيخ الإسلام، والتبوكية، والمدنية، لتلميذه ابن القيم.

وأما قول بعضهم: نسبة إلى الوسطية؛ لكون أهل السنة والجماعة وسطًا بين فرق الأمة، كما بيّنه الشيخ –رحمه الله–في أثناء الرسالة! فلا يصح، إذ لو كان كذلك لسميت: الوَسَطية، وشيخ الإسلام نفسه سماها الواسطية، وبيّن سبب التسمية، وفي بعض النسخ عنونت بالعقيدة الواسطية، عقيدة الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، لأن الشيخ ذكر هذا في مقدمتها.

---

[1] مجموع الفتاوى: (٣/ ١٦٣-١٦٤).

مميزات هذه العقيدة:

تمتاز به هذه العقيدة بالمزايا التالية:

أولًا: اشتمالها على مجمل اعتقاد السلف.

ثانيًا: غناؤها وثراؤها بالأدلة النقلية؛ القرآنية والنبوية، فلو قارنت بينها وبين متن من متون المتكلمين لوجدت الفرق الهائل! فالسلف إذا صنفوا يقدمون كلام الله على كلامهم، ولا يذكرون مسألة إلا بدليلها، فكأنما تسير في روضات غنّاء، تتأنق فيهن! وإذا طالعت كتب المتكلمين فكأنما تسير في صحراء جرداء، لا تجد فيها دليلًا ينعش القلب من كلام الله، أو كلام نبيه، صلى الله عليه وسلم، وإنما هي جلاميد حروف، وعبارات مغلقة، ومعان عسرة.

ثالثًا: تضمنها للدلائل العقلية، ففي بعض مواضعها يذكر الشيخ أدلة عقلية في بيان بعض حقائق الإيمان؛ ولا افتراق بين العقل والنقل، فإن القرآن العظيم دلل على الأصول العظيمة بالحجج، والأساليب العقلية، وهل الأمثال، وما أكثرها في القرآن، إلا أقيسة عقلية؟ فلا يظن ظان أن هؤلاء المتكلمين أسعد بالعقل من السلف، بل السلف أسعد بالعقل والنقل منهم، والعقل الذي انتحلوه عقل مضطرب؛ ليس على القسطاس المستقيم؛ فالنقل يصوب العقل، ويُحكم مساره، ويضبط آلته؛ فالعقل آلة بمنزلة العين؛ فمثلًا، لو دخلت مسجدًا وهو مظلم، لربما ارتطمت بعمود، أو عثرت بآدمي أو كرسي، مع أنك تملك عينين! وحينما تضيء المصابيح ينكشف لك المكان؛ تمشي سويًا، وتنتفع بعينيك.

وكذلك النقل مع العقل، فالنقل نور من الله، سبحانه وتعالى؛ يضيء للعقل، فيستنير ويصبح آلة مفيدة، لا عطب فيها، ولا خلل؛ قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الشورى: ٥٢].

رابعًا: تضمنها بيان وسطية أهل السنة والجماعة في منهج الاستدلال، والأخلاق، والأعمال، وهذا أمر مهم، لأن ثمرة الاعتقاد تظهر في الأخلاق، والسلوك، والعمل؛ فلا بد من العناية بالآثار المسلكية للمسائل العقدية.

خامسًا: الوضوح، واليسر، والسهولة، في بيان أمهات الاعتقاد، بخلاف تعقيدات المتكلمين، وتهويمات الصوفية والباطنيين، وتلك صفة الكتاب، قال تعالى: {لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} [البينة: ١ -٣].

والواسطية من المتون التي يوصى بحفظها، سيما وأنها حافلة بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، فيحفظ طالب العلم في كل مسألة دليلًا، أو أكثر، يستدل به عند دعاء الحاجة، بالإضافة إلى الجمل السلفية، التي تواتر عليها السلف، وانتظمها المصنف في أثنائها، وحفظها بحمد الله سهل، والله الموفق.

جهود العلماء في شرح هذه الرسالة:

وقد عُني العلماء بهذه الرسالة، فممن شرحها وعلّقَ عليها:

١-الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١٣٠٧-١٣٧٦هـ) رحمه الله، في كتيب اسمه: (التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة)، وهو من أقدم شروحها.

٢-الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣١١-١٣٨٩هـ) رحمه الله، له (تقريرات جمعها الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم).

٣-الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع (١٣٠٠-١٣٨٥هـ) رحمه الله، له تعليقات على الواسطية.

٤-الشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان (١٣٣٧-١٤٢٢هـ) رحمه الله، في كتابه: (الكواشف الجلية عن معاني الواسطية)، وله كتاب آخر اسمه: (الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية) على طريقة السؤال والجواب.

٥-الشيخ زيد بن عبد العزيز بن فياض (١٣٥٠-١٤١٦هـ)، في كتابه: (الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية).

٦-الشيخ محمد خليل هراس (١٣٣٤-١٣٩٥هـ) رحمه الله، في كتابه: (شرح العقيدة الواسطية).

٦-الشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد (١٣٣٣-١٤٠٨هـ) رحمه الله، في كتابه: (التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية).

٧-شيخنا محمد بن صالح العثيمين (١٣٤٧-١٤٢١هـ) رحمه الله، في كتابه: (شرح العقيدة الواسطية).